لطف الله تعالى من خلال سورة يوسف دراسة موضوعية

د.تغريد بنت علي الأحمري

أستاذ التفسير المشارك

بقسم الدراسات القرآنية كلية التربية

جامعة الملك سعود

ملخص البحث:

تناول هذا البحث موضوعَ لطف الله -تعالى-، من خلال (سورة يوسف)، حيث تضمَّنت هذه السورة جملةً من ألطاف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام-، وقد تضمَّن البحث مقدمةً، وتمهيداً، وثمانيةَ مباحث، وخاتمة، حوى التمهيد على تعريف موجز بـ (سورة يوسف)، ثم بياناً لمعنى اللطف في القرآن الكريم، ثم المبحث الأول: لطفً الله -تعالى- في تعريفه ليعقوب -عليه السلام- بدلالة الرؤيا، وأن يوسف-عليه السلام- سيبلغ مبلغاً من الحكمة. ثم المبحث الثاني: لطف الله -تعالى- في إلغاء خيار القتل واختيار الإلقاء في الجب. ثم المبحث الثالث: لطف الله -تعالى- في عثور السيَّارة على يوسف -عليه السلام- في الجب، واستبشارهم به، ثم زهدهم فيه. ثم المبحث الرابع: لطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام- في شراء العزيز له والتوصية بإكرامه. ثم المبحث الخامس: لطف الله -تعالى- في تخليص يوسف -عليه السلام- من فتنة امرأة العزيز. ثم المبحث السادس: لطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام- في دخوله للسجن، ورؤيا الملك التي كانت سبباً في خروجه منه. ثم المبحث السابع: لطف الله -تعالى- في اختيار إخوة يوسف حكمهم على حكم الملك. ثم المبحث الثامن: مناسبة ختم قصة يوسف -عليه السلام- بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾.

والمنهج المتَّبع في هذا البحث، هو المنهج الاستقرائي، باستقراء الآيات المتضمنة لُلطف الله -تعالى-، ثم المنهج التحليلي، من خلال دراسة الآيات، وبيان معانيها، واستنباط الهدايَات والفوائد منها.

ومن أهم نتائج هذا البحث: اشتمال سورة يوسف -عليه السلام- على جملة من ألطاف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام-، وارتباط هذه الموضوعات بمقصد مهمٍّ من مقاصد (سورة يوسف)، وهو: الوعد بالتمكين بعد الابتلاء. من المواقف التي تضمنتْ لطف الله -تعالى- في (سورة يوسف): رؤيا يوسف -عليه السلام-، وإلغاء خيار القتل وإلقاؤه في الجب، واستبشار السيارة بيوسف -عليه السلام-، ثم زهدهم فيه، ودخول السجن، ورؤيا الملك، وغير ذلك ...ولما

كانت قصة يوسف -عليه السلام- مليئة بالابتلاءات والألطاف؛ ناسب ختمها بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾. **الكلمات المفتاحية:** لطف الله -تعالى-، سورة يوسف.

Abstract:

This research delves into the theme of Allah's kindness (Lutf) as illuminated through (Surah Yusuf). The surah abounds with instances of Allah's kindness and care towards Prophet Yusuf (peace be upon him). The study comprises an introduction, a preamble, eight chapters, and a conclusion .The preamble offers a concise introduction to Surah Yusuf, followed by an elucidation of the meaning of Allah's kindness (Lutf)in the Holy Qur'an. Chapter One examines Allah's kindness in revealing to Prophet Ya'qub (peace be upon him) the meaning of Yusuf's dream, indicating that Yusuf would attain a high degree of wisdom. Chapter Two discusses Allah's kindness in nullifying the option of killing Yusuf, and instead, inspiring his brothers to cast him into the well. Chapter Three explores Allah's kindness manifest in the travelers finding Yusuf in the well, their initial joy, and subsequent disinterest in him. Chapter Four highlights Allah's kindness in Yusuf's purchase by the Aziz (chief minister) and the instruction to honor him. Chapter Five analyzes Allah's kindness in safeguarding Yusuf from the temptation of the Aziz's wife. Chapter Six focuses on Allah's kindness towards Yusuf during his imprisonment and the king's dream, which ultimately led to his release. Chapter Seven investigates Allah's kindness in the brothers of Yusuf preferring his judgment over that of the king. Chapter Eight considers the aptness of concluding the story of Yusuf with Allah's saying: "Indeed my Lord is subtle in fulfilling what He wills." (Qur'an ١٢:١٠٠).

The research employs an inductive methodology, by meticulously surveying the verses that encapsulate Allah's kindness, followed by an analytical approach, examining the verses, elucidating their meanings, and deriving guidance and benefits therefrom.

Key Findings:

Surah Yusuf comprehensively illustrates numerous instances of Allah's kindness towards Prophet Yusuf (peace be upon him) .These

instances of Allah’s kindness (Lutf) are intimately linked to a significant objective of Surah Yusuf: the promise of empowerment after tribulation . Among the pivotal moments in Surah Yusuf demonstrating Allah’s kindness are: Yusuf's dream, the nullification of the killing option and his placement in the well, the travelers' initial joy at finding him followed by their subsequent disinterest, his imprisonment, and the king's dream, among others .Given that the story of Yusuf (peace be upon him) is replete with both trials and kindness, its conclusion with Allah’s saying: "Indeed, my Lord is subtle in what He wills" (Qur'an ١٢:١٠٠) is highly fitting.

Keywords: Allah’s Kindness (Lutf), Surah Yusuf.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، إن لُطْفَ الله –تعالى– بالعبد المؤمن يحيط به في كل أحواله وشؤونه، ولولا لطفُه بنا –عزَّ وجل– لامتلأت قلوبُنا خوفاً ووَحشة، ولضاقت علينا الأرض بما رَحُبت، ولماتت أرواحُنا همّاً، ومن أشد الناس ابتلاء: أنبياء الله –تعالى–؛ ومنهم: يُوسف –عليه السلام– ، فقد تجلَّى لطفُ الله –تعالى– به، في ثنايا قصته في (سورة يوسف)، وجاء هذا البحث لدراسة مواضع لطف الله –تعالى– بيوسف –عليه السلام–، من خلال (سورة يوسف)؛ دراسة موضوعية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- أهمية الدراسات الموضوعية في السور القرآنية، وأثرها على بيان مقاصد السور.

٢- أثر دراسة الآيات المشتملة على لطف الله –تعالى– بالأنبياء، في التربية الإيمانية، وتنزيل ذلك على الوقائع والأحداث في الوقت الراهن.

مشكلة البحث:

٣- اشتملت (سورة يوسف) على آياتٍ وأحداثٍ، تدل على لطف الله –تعالى– بيوسف –عليه السلام–، وجاء هذا البحث لدراسة الموضوع دراسةً موضوعيةً قرآنية، والعناية بما جاء فيه من المقاصد والهدايات.

أهداف البحث:

٤- بيان الآيات المتضمنة للطف الله –تعالى– بيوسف –عليه السلام–، في سورة يوسف.

٥- دراسة الآيات المتضمنة للطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام-، في سورة يوسف دراسة موضوعية.

٦- بيان علاقة الآيات المتضمنة للطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام-، بمقصد (سورة يوسف).

الدراسات السابقة:

الدراسات حول سورة يوسف كثيرة، ومتعددة المجالات، ولم أقف على دراسةٍ تناولت الآياتِ المتضمنةَ للطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام- بالدراسة الموضوعية استقلالاً.

حدود البحث: الآيات المتضمنة للطف الله -تعالى- بيوسفَ -عليه السلام-، في سورة يوسف.

منهج البحث وإجراءاته:

المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال الإجراءات التالية:

١- استقراء الآيات المتضمنة للطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام-، في (سورة يوسف).

٢- دراسة الآيات والوقوف على معانيها، من خلال النظر في كتب التفسير التحليلي المعتبرة.

٣- تحليل علاقة الآيات المتضمنة للطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام- بمقصد (سورة يوسف).

٤- استنباط جملةٍ من الفوائد والهدايات من الآيات.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثمانية مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، مشكلة البحث، أهداف البحث، الدراسات السابقة، حدود البحث، منهج البحث وإجراءاته.

التمهيد، وفيه:

أولاً: تعريف مُوجز بـ (سورة يوسف).

ثانياً: معنى اللطف في القرآن الكريم.

المبحث الأول: لُطْفُ الله -تعالى- في تعريفه ليعقوب -عليه السلام-، بدلالة الرؤيا، وأن يوسف-عليه السلام- سيبلغ مَبلغاً من الحكمة.

المبحث الثاني: لطف الله -تعالى- في إلغاء خيار القتل، واختيار الإلقاء في الجب.

- المبحث الثالث: لطف الله -تعالى- في عثور السيارة على يوسف -عليه السلام- في الجب، واستبشارهم به، ثم زهدهم فيه.
- المبحث الرابع: لطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام- في شراء العزيز له، والتوصية بإكرامه.
- المبحث الخامس: لطف الله -تعالى- في تخليص يوسف -عليه السلام- من فتنة امرأة العزيز.
- المبحث السادس: لطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام- في دخوله للسجن، ورؤيا الملك التي كانت سبباً في خروجه منه.
- المبحث السابع: لطف الله -تعالى- في اختيار إخوة يوسف حكمَهم على حكم الملك.

- المبحث الثامن: مناسبة ختم قصة يوسف -عليه السلام- بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث.

تمهيد

أولاً: التعريف الموجز بسورة يوسف

(سُورَة يُوسُفْ): هي سُورَة مكّية بالإجماع، أُنزلت قبل هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من مكة، ترتيبها الثّانية عشرةَ بين سّور المُصْحَف، وعدد آياتها مئةٌ وإحدى عشرةَ آيةً.

سميت السُّورة بهذا الاسم؛ لأنّها تناولت قصّة نبي الله يوسف -عليه السلام-؛ حيث احتوت السُّورة على القصة الكاملة ليوسف -عليه السلام-، بملامحها كلها في سورةٍ واحدة، وتسرد السورة أنواعَ البلاءِ والشدائدِ التي تعرَّض لها يوسُف من أخوته، منذ إلقائه في البئر، ومفارقته لأهله وأبويه، وبيعه وهو طفل، إلى سجنه، وتآمر النسوة عليه، ثم تَولِّيه خزائنَ مصر.

قال ابن عاشور: "ولم تُذكَر قصةُ نبي في القرآن بمثل ما ذُكِرت قصة يوسف- عليه السلام- ، هذه السورة من الإطناب"(١).

فإذا قيل: ما الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف، وسوْقها مَساقاً واحداً في موضعٍ واحدٍ دون غيرها من القصص؟ وأقوى إجابة هنا عن ذلك: إن قصص الأنبياء إنما تكررت؛ لأن المقصود بها إفادة إهلاك مَن كذَّبوا رسلَهم، والحاجة داعيةٌ إلى ذلك؛ لتكرار تكذيب

(١) التحرير والتنوير (١٢/١٩٨).

الكفار لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فكلما كذبوا أُنزلت قصةٌ مُنذرةٌ بحلول العذاب، كما حل على المكذبين؛ ولهذا قال –تعالى– في الآيات: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ، ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾، وقصة يوسفَ لم يُقصد منها ذلك.(٢) فحاصلُها فرجٌ بعد شدة، وتعريفٌ بحسن عاقبة الصبر(٣).

الموضوعات التي تناولتها السورة(٤):

١- عرض وقائع قصة يوسف –عليه السلام–، وما تعرَّض له من المحن والابتلاءات في حياته. فإن الله –تعالى– امتحن يعقوب –عليه السلام– بفقد ابنيْه وبصرِه وشتاتِ بنيه، وامتحن يوسف –عليه السلام– بالجُب والبيع وامرأة العزيز وفقد الأب والأخوة والسجن، ثم امتحنهم –جميعهم– بشمول الضرر وقلة ذات اليد "مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ". ثم تداركهم الله بإلفِهم، وجمعِهم كلهم، وردِّ بصرِ أبيهم، وائتلاف قلوبهم، ورفْعِ ما نزغ به الشيطان، وخلاصِ يوسف –عليه الصلاة والسلام– من كيد مَن كاده، واكتنافه بالعصمة، وبراءته عند الملك، وكل ذلك مما أعقبه جميل الصبر، وجلالة اليقين في حسن تلقِّي الأقدار؛ بالتفويض والتسليم على تَوالي الامتحان، وطول المدة، ثم انجرَّ في أثناء هذه القصة الجليلة إثابة امرأة العزيز ورجوعها إلى الحق، وشهادتها ليوسف –عليه السلام– بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يَشين، ثم استخلاص العزيز إيَّاه إلى ما أُنجز في هذه القصة الجليلة من العجائب والعبر، ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (٥)

---

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٣/٢٣٢).

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي (٢٢٨).

(٤) التحرير والتنوير (١٢/١٩٨).

(٥) البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي (٢٢٨).

٢- تعبير الرؤى علمٌ يرزقه اللّه مَن يشاء من عباده.

٣- لطف اللّه –تعالى– بعباده الصابرين المتقين.

٤- الحثُّ على شُكر اللّه –تعالى– على نِعمِه وأفضاله.

٥- ذِكرُ جانبٍ من إعجاز القرآن الكريم، من خلال براعةِ أسلوبه القَصصي.

مقاصد السورة(٦):

١- تسليةُ وتقويةُ النبي –صلى اللّه عليه وسلم– بما لقِيَه يعقوبُ ويوسفُ– عليهما السلام– من الهم ومن الأذى، وقد لقي النبي –صلى اللّه عليه وسلم– من آلِه أشدَّ ما لقِيَه من بُعد كفار قومه.

٢- العاقبةُ للمتقين الصابرين –وإن توالت المحنُ والابتلاءات–.

٣- الدعوةُ إلى التوحيد، والبراءةُ من الشرك وأهله.

ثانياً: معنى اللطف في القرآن الكريم.

٤- تدور مادة اللطف في اللغة حول معانٍ متقاربة؛ فهي تعني الرفقَ والرقةَ، والعلمَ، وما لا يُدرَك بالحواس.

٥- قال ابن فارس: "(لَطَفَ) اللام والطاء والفاء أصلٌ يدل على رفق، ويدل على صِغَرٍ في الشيء. فاللطف: الرفق في العمل؛ يقال: هو لطيفٌ بعباده، أي رءوفٌ رفيق"(٧).

٦- وقال الراغب: " ويُعبر باللطافة واللطف عن الحركة الخفيفة، وعن تعاطي الأمور الدقيقة، وقد يُعبَّر باللطائف عما لا تُدركه الحاسة، ويصح أن يكون وصف اللّه –

(٦) ينظر: نظْم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، البقاعي (٥/١٠)، التحرير والتنوير (١٩٨/١٢).

(٧) مقاييس اللغة، (٢٥٠/٥)، مادة " لطف".

تعالى- به على هذا الوجه، وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور، وأن يكون لرفقِه بالعباد في هدايتهم. قال -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[الشورى/ ١٩]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف/ ١٠٠]، أي: يحسن الاستخراج. تنبيهًا على ما أوصل إليه يوسف؛ حيث ألقاه إخوتُه في الجب"(٨).

ويُؤخذ المعنى الاصطلاحي للُّطف من استعمالات القرآن الكريم، فقد وردت كلمة (اللطف) ومشتقاتها في القرآن الكريم ثماني مرات، وهي دائرة على ثلاثة معانٍ:

الأول، العالِمُ بخفايا الأمور ودقائقها.

الثاني، الرفيق بعباده.

الثالث، الخفي عن أن تدركه الحواس.

وردت في سبعة مواضع مضافةً إلى الله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف/ ١٠٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[الحج/ ٦٣]، [لقمان/ ١٦]، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى/ ١٩]، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام/ ١٠٣]، [الملك/ ١٤]،﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب/ ٣٤]، ووردت مرة واحدة مفردة بصيغة الأمر، على لسان أهل الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ١٩].

وحيثما وردت مُضافة إلى الله؛ فإنها تكون بمعنى: العالِم بدقائق الأمور والمصالح، الذي يُصلِح لهم أحوالَهم، ويُسبب لهم مصالحَهم من حيث لا يحتسبون، فضلاً منه وإحساناً.

(٨) المفردات، (٧٤٠)، مادة " لطف".

قال الطبري في تفسير قوله –تعالى–: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٣]: "والله – تعالى– ذكره المتيسّر له من إدراك الأبصار، والمتأتّي له من الإحاطة بها رؤيةُ ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه وإحاطتها به، ويتعذَّر عليها"(٩).

وحقيقة اللطيف هو الذي يُوصل الإحسانَ إلى غيره برفق(١٠)، فهو –سبحانه وتعالى– لطيفُ التدبير؛ إذ ما من صعبٍ إلا وتَنفُذ فيه مشيئتُه –تعالى– ويتسهل دونها(١١).

قال –تعالى–: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف/ ١٠٠]. حاصلُه: أن اللطيف هنا بمعنى العالِم بخفايا الأمور، المدبر لها، والمسهل لصعابها، ولنفوذ مشيئته –سبحانه–، فإذا أراد شيئاً سهَّل أسبابَه(١٢).

من خلال ما سبق من أقوال المفسرين وأهل المعاني يتبيَّن: أن معنى لطف الله –تعالى–: سعةُ ودقةُ علمِه، مع تمام رِفقِه بعبادِه –سبحانه وتعالى–.

وقد ظهر عظيمُ لطفِه –تعالى– جَليّاً في أحداث قصة يوسف –عليه السلام–، التي تناولتها (سورة يوسف)، في سياق واحدٍ، وسيأتي في المباحث التالية، مظاهر لُطفِ الله –تعالى–، كما جاءت في آيات السورة.

المبحث الأول: لطفُ الله –تعالى– في تعريفه ليعقوبَ –عليه السلام– بدلالة الرؤيا، وأن يوسفَ سيبلغُ مبلَغاً من الحكمة.

قال –تعالى–: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

(٩) جامع البيان، الطبري (٤٦٨/٩).

(١٠) تفسير القرآن، السمعاني (٦٨/٣).

(١١) روح المعاني، الألوسي (٥٨/٧).

(١٢) المرجع السابق.

لِّلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ تميز يوسف -عليه السلام- بالمكانةِ الرفيعةِ عند يعقوبَ -عليه السلام-، عن سائر إخوته، وكانت هذه المكانةُ الرفيعةُ سبباً في أن تكون قصة يوسف -عليه السلام-، وما فيها من الابتلاءات والمحن عبرةً لأولي الألباب؛ قال -تعالى-: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [يوسف/ ٧].

النبيُّ يعقوب -عليه السلام- كان شديدَ الحب ليوسفَ وأخيه؛ فحسده إخوتُه لهذا السبب، وظهر ذلك المعنى ليعقوبَ -عليه السلام-، بالأمارات الكثيرة، فلما ذكر يوسف -عليه السلام- الرؤيا التي كان تأويلها: أن إخوته وأبويْه يخضعون له، عرف يعقوب -عليه السلام- دلالةَ الرؤيا، على أن يوسف يُبلِغه الله مَبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة، ويُنعم عليه بشرفِ الداريْن -كما فعل بآبائه-؛ فخاف عليه حسدَ الإخوةِ وبغيَهم، وأمَرَه ألا يخبرَهم بالرؤيا(١٣)، قال -تعالى-: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف/ ٤-٥].

من لُطف الله -تعالى- بيوسفَ ويعقوبَ -عليهما السلام-، معرفةُ يعقوبَ -عليه السلام- بدلالة الرؤيا، ولذلك كان على يقينٍ أن يوسفَ سيُصبح ذا شأنٍ عظيمٍ؛ فكتم يوسفُ -عليه السلام- أمرَ هذه الرؤيا عن إخوته.

هذا اللطف منه -سبحانه- من أول ألطاف الله المتنوعة، التي امتنَّ بها على يوسفَ -عليه السلام-، حيث كان نبي الله يعقوبُ أشدَّ حرصاً على هذا الخير؛ فأخذ يرسم له أولَ سبلِ النجاة، في كتمان هذا الأمرِ عن إخوته؛ حتى لا يُبالغوا في حسدِهم له؛ فيصيبوه بإيذاءٍ عظيمٍ يُفسد عليه أمرَه.

وفي هذه الآيات جملة من الفوائد واللطائف، أبرزُها:

(١٣) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (١٨/٤٢٠)، الكشاف، الزمخشري (٢/٤٤٤).

مشروعيةُ الرؤيا وجواز تعبيرها.

مشروعيةُ كتمانِ بعضِ الأمور التي يكونُ في إظهارها مفسدة.

من أسس التربية: تحقيقُ العدل والمساواة بين الأبناء، وعدم التفريق بينهم في الحقوق المادية والمعنوية.

المبحث الثاني: لطف الله -تعالى- في إلغاء خيار القتل واختيار الإلقاء في الجب.

قال -تعالى-: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ لما قويَ الحسد وبلغ النهاية؛ قالوا لا بد من إبعاد يوسف عن أبيه؛ وذلك لا يحصل إلا بإحدى طريقتين: القتل، أو التغريب إلى أرضٍ بعيدة يحصل ببعدها اليأس من اجتماعه مع أبيه، ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك، ثم ذكروا العلة فيه، وهي قولهم: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾، والمعنى: أن يوسف شغله عنَّا، وصرف وجهه إليه، فإذا فقده أقبل علينا بالميل والمحبة، ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ﴾(١٤)، وفي أثناء تشاورهم في طريقة إبعاد يوسف -عليه السلام- عن أبيه، جاء المقترح الثالث من أحد إخوته بإلقائه في غيابة الجب(١٥)، قال الله -تعالى-: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾.

ما أشار به القائل من إلقاء يوسف-عليه السلام- في غيابة الجب، هو أمثل مما أشار به الآخرون من قتله، أو تركِه بفيفاء مُهلكة؛ لأنه يحصل به إبعاد يوسف- عليه السلام- عن أبيه

(١٤) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (١٨/٤٢٤).

(١٥) المراد: ظلمات البئر والجب في اللغة هي: بئر لم تطو، وتسميته بذلك إما لكونه محفوراً في جبوب، أي: في أرض غليظة، وإما لأنه قد جب، والجب: قطع الشيء من أصله كجب النخل. ينظر: المفردات للراغب (١٨٢)، مادة "جب".

إبعاداً لا يُرجى بعده تلاقيهما، دون إلحاق ضر الإعدام بيوسف- عليه السلام-؛ فإن التقاط السيارة(١٦) إياه أبقى له، وأدخَل في الغرض من المقصود لهم، وهو إبعاده؛ لأنه إذا التقطه السيارة أخذوه عندهم، أو باعوه فزاد بُعداً على بُعد.(١٧)

إن إلقاء يوسف -عليه السلام- في البئر أمرٌ لا يُقبل، ولكن أخاه اختار أخف الضررين عليه، وهذا مسلك دقيق، مكَّن الله -عز وجل- منه إخوة يوسف -عليه السلام-؛ ليكون هذا سبيلاً من سبل النجاة، وباباً من أبواب الفرج المنتظر، لطفاً وفضلاً من الله -عز وجل-. فسبحان الله -تعالى-! يجتمعون عليه ليقرروا قتله؛ ثم ينقذه الله -تعالى- بكلمة من واحدٍ منهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾، فألغى خيارَ القتلِ ورقَّق الله -تعالى- قلوبهم عليه؛ كأنهم أرادوا المحافظةَ على حياته -عليه السلام-، بدلالة قوله -تعالى-: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

قال السعدي: "وهذا القائل أحسنُهم رأياً في يوسف، وأبرُّهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يُدفع به الضررُ الثقيل"(١٨).

اقتضت قدرة الله -تعالى- ألا يكونَ لهم سبيلٌ إلى قتله؛ لأن الله -تعالى- كان يريد منه أمراً لا بد من إمضائه وإتمامه، من الإيحاء إليه بالنبوة، ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها؛ فصرفهم الله عنه بمقالة أخيهم وإشارته عليهم، بأن يلقوه في غيابة الجب(١٩).

وفي هذه الآيات جملةٌ من الفوائدِ واللطائفِ، أبرزها:

---

(١٦) المراد بالسيارة: مارَّة الطريق من المسافرين، والسير: المضيُّ في الأرض، ورجل سائر، وسيَّار، والسيارة: الجماعة. ينظر المفردات للراغب (٣٤٢) مادة "سار".

(١٧) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢٦/١٢).

(١٨) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٣٩٤).

(١٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٧٢/٤).

١- من القواعد الفقهية قاعدة (أخف الضررين)، وهو مسلك دقيق إذا ساءت الخيارات، عند ذلك يُقدَّم أخفُّها ضرراً، ويُدفَع الأعظمُ ضرراً.

٢- الإلقاء في الجب محنةٌ وبلاء، رافقها لطفُ الله -تعالى- ورحمته بيوسفَ -عليه السلام-.

المبحث الثالث: لطف الله -تعالى- في عثور السيارة على يوسفَ -عليه السلام- في الجب، واستبشارهم به، ثم زهدهم فيه.

قال -تعالى-: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ﴾.

جاءت إلى ذلك المكان -الذي كان فيه الجب- قافلةٌ تسير من مدين إلى مصر؛ فأرسلوا واردَهم الذي يجلب لهم الماء للاستسقاء، فأرسل دلوه ودلّاه في ذلك الجب؛ فتعلق به يوسف، وفوجئ الوارد بغلام متشبثٍ بدلو الماء؛ فصاح مستبشراً ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾.

. قال ابن عاشور: "وفي عثور السيّارة على الجب الذي فيه يوسف- عليه السلام- آيةٌ من لطفِ الله به"(٢٠).

يوسفُ -عليه السلام- ما كان يظن أنه سينجو من ظلمات ذلك البئر، لولا يقينُه بربِّه ولطفِه -تعالى- به؛ حيث أوحى إليه لتخبرنَّ إخوتك، بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يعلمون ولا يدرُون.

قال الله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف/ ١٥].

قال ابن كثير: " يقول -تعالى- ذاكراً لطفَه ورحمتَه وعائدته وإنزاله اليسرَ في حال العسر: إنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق، تطييباً لقلبه، وتثبيتاً له: أنك لا تحزن

(٢٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢/٢٤٣).

مما أنت فيه؛ فإن لك من ذلك فرجاً ومخرجاً حسناً، وسينصرك اللهُ عليهم، ويُعليك ويرفعُ درجتَك، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع"(٢١).

وبعد الاستبشار بيوسفَ -عليه السلام-، أسَرَه الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه وتبضَّعناه من أصحاب الماء؛ مخافة أن يُشاركوهم فيه إذا علموا خبره، وقال آخرون: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾، يعني: إخوة يوسف، أسروا شأنه، وكتموا أن يكون أخاهم، وكتم يوسف شأنه مخافةَ أن يقتله إخوتُه، واختار البيع. فذكره إخوته لوارد القوم، فنادى أصحابه: ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾ يُباع، فباعه إخوته.

قال الطبري: "وأوْلى هذه الأقوال بالصواب قول مَن قال: وأسر وارد القوم المدلّي دلوَه، ومن معه من أصحابه من رفقته السيارة، أمْرَ يوسف؛ أنهم اشتروه خِيفةً منهم أن يستشركوهم"(٢٢). وظاهِر الآيات أنّه لِوارد الماء"(٢٣)، والقول بأن المراد إخوة يوسف هو اختيار ابن كثير(٢٤).وكلا القولين تحتمله الآية، والأول أقرب والله -تعالى- أعلم.

وبعد قدوم القافلة إلى مصر، باعه الذين اشتروْه بثمنٍ قليلٍ ناقصٍ عن ثمنِ مثلِه من الدراهم القليلة التي تُعد عدّاً ولا تُوزن وزناً؛ قال -تعالى-: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖۚ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾، ومن لُطف الله -تعالى- أنهم كانوا من الزاهدين فيه، فلم يجعل قلوبهم تتعلق به؛ فصرفهم عنه، وهيأ له عزيز مصر ليكرم مثواه؛ وليكون عزيزاً كريماً، وهذا من تمام رحمة الله ولطفِه بيوسفَ -عليه السلام-.

(٢١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٧٤/٤).

(٢٢) جامع البيان، الطبري (٤٩/١٣).

(٢٣) المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٢٩/٣).

(٢٤) تفسير القرآن العظيم (٣٧٤/٤).

قال الألوسي: " فزهَّدهم فيه؛ لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاونٌ به، لا يبالي أن يبيعه بأي ثمن؛ لأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده؛ فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن"(٢٥).

المبحث الرابع: لطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام- في شراء العزيز له، والتوصية بإكرامه.

قال-تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

يخبر الله -تعالى- بألطافه بيوسفَ، أنه قيَّض له الذي اشتراه من مصر، حتى اعتنى به وأكرمه وأوصى أهله به، وتوسَّم فيه الخيرَ والصلاح، فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف:٢١]، أي: أكرمي منزله بالطعام الطيب واللباس الحسن، وهيِّئي له ما يحتاج إليه من أطايب اللباس والطعام.

قال الألوسي: "(أَكْرِمِي مَثْواهُ): أي اجعلي محلَّ ثوائه وإقامته كريماً، أي حسناً مرضياً، وهذا كناية عن إكرامه -عليه السلام- نفسه على أبلغ وجهٍ وأتمِّه؛ لأن من أكرم المحل بتنظيفه وفرشه ونحو ذلك، فقد أكرم ضيفه بسائر ما يُكرم به"(٢٦).

وقال المحققون: "أمر العزيز امرأته بإكرام مثواه دون إكرام نفسه، يدل على أنه كان ينظر إليه على سبيل الإجلال والتعظيم(٢٧)".

---

(٢٥) روح المعاني (٣٩٦/٦).

(٢٦) روح المعاني، الألوسي (٣٩٧/٦).

(٢٧) التفسير الكبير، الرازي (٤٣٥/١٨).

من لُطف الله –تعالى– بيوسف –عليه السلام–، أن جعل له مكانةً رفيعةً عند عزيز مصر، كانت هذه المكانة تمهيداً لتمكينه في الأرض، قال السعدي: " ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ أي: إما أن ينفعنا كنفع العبيد بأنواع الخدم، وإما أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا، ولعل ذلك أنه لم يكن لهما ولد، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: كما يسَّرنا له أن يشتريَه عزيزُ مصر، ويُكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدمةً لتمكينه في الأرض من هذا الطريق. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ إذا بقي لا شغل له ولا همَّ له سوى العلم، صار ذلك من أسباب تعلُّمه علماً كثيراً؛ من علم الأحكام، وعلم التعبير، وغير ذلك"(٢٨).

ومعنى قوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أنه لا يستعصي عليه أمرٌ ولا يُمانعه شيءٌ؛ بل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ؛ فيدخل في ذلك شئونُه المتعلقةُ بيوسفَ دخولاً أوَّلياً، أو متولَ، على أمر يوسفَ لا يكِله إلى غيره، وقد أُريد به من الفتنة ما أُريد مرة غِبَّ مرة؛ فلم يكن إلا ما أراد الله له من العاقبة الحميدة، فالأمرَ كلَّه لله –عز وجل–. وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي لا يعلمون لطائفَ صنعِه وخفايا فضله(٢٩).

ففي الآيات جملةٌ من ألطاف الله –تعالى– بيوسف –عليه السلام–، ومنها: إكرامه وتمكينه في بيت عزيز مصر؛ تمهيداً لتمكينه في الأرض، وتعليمه تأويل الأحاديث، وإيتائه النبوةَ والحكمَ والعلمَ الكثير، وشهادة من الله له بأنه من زُمرة المحسنين.

وهذه سنه من سنن الله –تعالى– الكونية، مَن أقبل على الله أقبل الله عليه، ومَن أراد التمكينَ؛ فليكن مع الله، ولا يغتر العبد بنفسه، فكل ما آتاه الله –تعالى– من رفعه

(٢٨) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٣٩٥).

(٢٩) إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢٦٣/٤).

وعلم ومال، فهو بأمره -تعالى-؛ لذلك نُسب التمكين وإيتاء العلم والفضل إلى الله في قوله -تعالى-: ﴿مَكَّنَّا﴾ وقوله: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ وقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾. وقوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾.

المبحث الخامس: لطف الله -تعالى- في تخليص يوسف -عليه السلام- من فتنة امرأة العزيز.

قال -تعالى-: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ **وقوله -تعالى-**: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

يخبر الله -تعالى- عن امرأة العزيز التي كان يوسفُ في بيتها بمصر، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه، فحاولته على نفسه، ودعته إليها، وذلك أنها أحبَّتْه حباً شديداً؛ لجماله وحسنه وبهائه، فحملها ذلك على أن تجمَّلت له، وغلَّقت عليه الأبواب، ودعته إلى نفسها، ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾؛ فامتنع من ذلك أشد الامتناع، و﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾، وكانوا يطلقون (الرب) على السيد والكبير، أي: إن بعلك ربي أحسن مثواي، أي: منزلي وأحسن إليَّ؛ فلا أقابله بالفاحشة في أهله(٣٠).

قال السعدي: "هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً؛ لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل؛ فقدَّم محبةَ

(٣٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٧٩/٤).

الله عليها. وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تُصيب العبد بغير اختياره، وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعاً أو كارهاً"(٣١).

في هذه المحنة العظيمة حف الله -تعالى- يوسف -عليه السلام- بالألطاف المتنوعة، ومنها: ما آتاه الله -تعالى- من الصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه؛ لأنه قد همَّ فيها همّاً تركه لله، وقدم مرادَ الله على مراد النفس الأمّارة بالسوء، ورأى من برهان ربه -وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لتركِ كل ما حرم الله- ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعلَ القبيحَ؛ لأنه مما يُسخط اللهَ ويبعد منه؛ ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي(٣٢).

هذا بالإضافة إلى ما جعله الله -تعالى- للحق والصدق من علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمنَّ الله في هذه القضية بمعرفة الصادق منهما؛ تبرئةً لنبيِّه وصفيِّه يوسف -عليه السلام-، فانبعث شاهدٌ من أهل بيتها، يشهد بقرينةٍ من وجدت معه، فهو الصادق، فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المراود لها، المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقَّت قميصَه من هذا الجانب. ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقَّت قميصَه من هذا الجانب.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ ؛ عرف بذلك صدقَ يوسفَ وبراءتَه، وأنها هي الكاذبة(٣٣). وإنما قال: ﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾؛ ليكون أولى بالقبول في حق المرأة؛ لأن الظاهر من حال مَن يكون مِن أقرباء المرأة ومِن أهلها، ألا يقصدَها بالسوء والإضرار، فالمقصود بذكر

---

(٣١) تيسير الكريم الرحمن (٣٩٦).

(٣٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٣٩٦).

كون ذلك الرجل من أهلها تقوية قول ذلك الرجل(٣٤)، وفي هذا إظهارٌ لصدق يوسف –عليه السلام– وتقويةٌ لجانبه وتأييدٌ له.

اتسعت الفتنة واشتهر الخبر، وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلمنها، ويقُلن: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، أي: هذا أمرٌ مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه، ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾، تدعوهن إلى منزلها للضيافة، وجعلت لهن محلاً مهيأً بأنواع الفُرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما أتت به وأحضرته في تلك الضيافة: طعامٌ يحتاج إلى سكين،﴿وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾، فلما خرج عليهن يوسف –عليه السلام– أعظمْنه في صدورهن، ورأين منظراً فائقاً، لم يشاهدن مثلَه، ﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ بتلك السكاكين، ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾.

فلما تقرر عندهن جمالُ يوسف، الظاهر، وأعجبهن غاية، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز شيءٌ كثير، أرادت أن تريَهن جمالَه الباطن بالعفة التامة؛ فقالت مُعلنة لذلك ومبينة لحبه الشديد غير مبالية، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾، أي: امتنع وهي مقيمة على مراودته، لم يزدها مرور الأوقات إلا قلقاً ومحبة وشوقاً لوصاله وتوقاً. ولهذا قالت له بحضرتهن: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾؛ لتُلجئه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربه، واستعان به على كيدهن؛ فاستحب السجنَ والعذابَ الدنيويَّ على لذةٍ حاضرةٍ تُوجب العذابَ الشديد(٣٥).

---

(٣٤) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (١٨/٤٤٦).

(٣٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/٣٨٦)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٣٩٧).

إن القوة البشرية والطاقة الإنسانية لا تفي بحصول هذه العصمة القوية، فعند هذا التجأ يوسف -عليه السلام- إلى الله -تعالى-، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ ؛ فاستجاب الله ليوسف دعاءه، فصرف عنه ما أرادت منه امرأةُ العزيز وصاحباتها من معصية الله؛ لأن لذة المعصية تستعقب آلاماً عظيمة، وهي الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة، واختيارُ السجن كان يستعقب سعادات عظيمة، وهي المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة(٣٦)، وهذا من عظيم لطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام-.

المبحث السادس: لطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام- في دخوله للسجن، ورؤيا الملك التي كانت سبباً لخروجه منه.

قال -تعالى-: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

إن في دخول يوسف -عليه السلام- إلى السجن ألطافاً متعددة، فدخل معه السجن فتيان من سنِّه يأنس بهم، وهما غلامان كانا لملك مصرَ الأكبر، أحدهما صاحب طعامه، والآخر صاحب شرابه، رُفع إليه أن صاحب طعامه يريد أن يَسُمَّه، وظن أن الآخر مالأه على ذلك، فأمر بحبسهما(٣٧).

قال البقاعي: " «مع» تدل على الصحبة واستحداثها، فهي تدل على دخول الثلاثة السجن في آنٍ واحد"(٣٨).

---

(٣٦) ينظر: جامع البيان، الطبري (١٣/١٤٥)، التفسير الكبير، الرازي (١٨/٤٥١).

(٣٧) ينظر: جامع البيان، الطبري (١٣/١٥١).

(٣٨) نظم الدرر (١٠/٨٠).

فرأى كلٌّ واحد منهما رؤيا، فقصها على يوسف ليعبرها، فـ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾، أي: بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما، وقولهما: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، أي: من أهل الإحسان إلى الخلق، فأحسنْ إلينا في تعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلى غيرنا؛ فتوسَّلا ليوسف بإحسانه(٣٩).

قال الواحدي: "وهذه الآية بيانٌ عما يُوجبه لطفُ الله -تعالى- فيما سببه لنجاة يوسف، بالعلم والإحسان في جوابه عما سأله الفتيان؛ لأن تعبيره رؤيا هذين كان سبب نجاته"(٤٠)

بعد أن ذكَّرهم يوسف -عليه السلام- بأهمية التوحيد، وفضل الله -تعالى- على عباده المؤمنين الذين بعث فيهم الأنبياء وهداهم للإيمان، عبَّر يوسفُ رؤى الفتيان؛ فقال: أما الذي رأى أنه يعصر عنبًا ليصير خمرًا؛ فإنه يخرج من السجن، ويرجع إلى عمله؛ فيسقي الملك، وأما الذي رأى أن فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه؛ فإنه يقتل ويصلب، فتأكل الطير من لحم رأسه.

وقال يوسف -عليه السلام- للذي ظن أنه سينجو من السجن اذكر قصتي عند الملك؛ لعله يخرجني من السجن، فأنسى الشيطان الساقيَ ذِكرَ يوسف عند الملك، فمكث يوسف في السجن بعد ذلك سنوات عدة.

حتى جاءت رؤيا الملك؛ حيث رأى في المنام سبع بقرات سمان، يأكلهن سبعُ بقرات هزيلات، وسبع سنبلاتٍ خضر، وسبع سنبلات يابسات، وطلب إلى المعبرين تأويل رؤياه هذه؛ ولكنهم عجزوا عن ذلك وقالوا: إنها من أضغاث الأحلام.

---

(٣٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٣٩٧).

(٤٠) البسيط (١١٦/١٢).

ذهب الساقي إلى يوسف –عليه السلام–، وذكر له يوسف –عليه السلام– تعبيرَها من غير تعنيفٍ للفتى في نسيانه ما وصَّاه به، ومن غير اشتراطٍ للخروج قبل ذلك(٤١).

فعبَّر يوسف: السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبعُ سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف، والسبع السنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدبات، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، وقد مزج تعبيره بإرشادٍ جليلٍ لأحوال التموين والادخار لمصلحة الأمة، ولطفاً بها (٤٢).

فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجِبوا من ذلك، وفرحوا بها أشدَّ الفرح.

ومن تدبير الله ليوسف –عليه السلام– ولطفه به أن علَّمه تأويل الرؤيا، بعد أن جمع الملك لها علماء قومه، وتحيَّروا ولم يعرفوا لها وجهاً، وعلّمها يوسف –عليه السلام–، وجعلها سببًا لخروجه من محنة السجن.

قال السعدي: " لما أراد الله أن يتم أمرَه، ويأذنَ بإخراج يوسفَ من السجن، قدَّر لذلك سبباً لإخراج يوسفَ وارتفاع شأنه وإعلاء قدره، وهو رؤيا الملك"(٤٣).

وقال: "وهذا أيضًا من لطف الله بيوسف –عليه السلام–. فإنه لو عبَّرها ابتداء – قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها–؛ لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتماً لها غاية، فعبّرها يوسفُ– ووقعت

(٤١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٩٢/٤).

(٤٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨٦/١٢).

(٤٣) ينظر: التفسير الكبير، الرازي (٤٦٣/١٨)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٣٩٨).

عندهم موقعاً عظيماً، .... فسبحان مَن خفيت ألطافُه، ودقَّت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفيائه وأوليائه"(٤٤).

قال الملك لأعوانه لما بلغه تعبير يوسفَ لرؤياه: أخرجوه من السجن، وأْتُوني به، فرفض يوسف -عليه السلام- الخروج حتى تظهر براءتُه، وأشار عليه أن يسأل النسوةَ اللاتي قطَّعن أيديهن؛ فأقرت امرأة العزيز بذنبها، وتبيَّنت براءةَ يوسفَ وعلمَه: فقرَّبه الملكُ منه، وأصبح صاحبَ مكانةٍ رفيعة، وحاملاً لأمانة الأمه.

قال-تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف ٥٤].

قال ابن كثير: " أي: أجعله من خاصتي وأهل مشورتي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ أي: خاطبه الملك وعرفه، ورأى فضلَه وبراعتَه، وعلم ما هو عليه من خُلُقٍ وخَلْقٍ وكمال؛ قال له الملك: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة، فقال يوسف -عليه السلام-: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، مدح نفسه؛ ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره، للحاجة "(٤٥).وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبةٌ منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه(٤٦).

وفي هذه الآيات جملة من الفوائد واللطائف أبرزها:

- استغلال المناسبات للدعوة إلى الله، كما استغلها يوسفُ -عليه السلام-؛ للدعوة إلى التوحيد في السجن.
- كمال علم يوسف -عليه السلام- في حُسن تعبير الرؤى، مع تمام أدبه وحسن خلقه.

---

(٤٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٣٩٩).

(٤٥) تفسير القرآن العظيم (٤/٣٩٥).

(٤٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٤٠٠).

- في دخول يوسف -عليه السلام- السجنَ ألطافٌ كثيرة، دلَّت على عظيمِ رحمة الله -تعالى- بعباده المؤمنين، وتولِّيه لأمرِهم.
- تدبيرُ الله ولطفُه بيوسفَ -عليه السلام-؛ إذ جعل رؤيا الملك سبباً للخروج من السجن، وحصوله على مكانةٍ رفيعةٍ عنده، تؤهله لأن يكون على خزائن الأرض.
- يجوز لمن يرى في نفسه مقوّمات القيام بوظيفةٍ ما، أن يرشح نفسَه لهذا العملِ؛ لما في ذلك من تحقيق النفع العام.

المبحث السابع: لطفُ الله -تعالى- في اختيار إخوة يوسف حكمهم على حكم الملك.

قال -تعالى-:﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) لما تولى يوسف -عليه السلام- خزائن الأرض، دبَّرها أحسنَ تدبير؛ فزرع في أرض مصرَ جميعها في السنين الخصبة، زروعاً هائلةً، واتخذ لها المحلات الكبار، وجبى من الأطعمة شيئاً كثيراً وحفِظه، وضبطه ضبطاً تاماً، فلما دخلت السنون المجدبة، وسرى الجدب، حتى وصل إلى فلسطين، التي يقيم فيها يعقوب وبنوه، فأرسل يعقوب بنيه لأجل الميرة إلى مصر. ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾، كال لهم كما كان يكيل لغيرهم، وكان من تدبيره الحسن أنه لا يكيل لكل واحد أكثر من حمل بعير، وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخاً عند أبيه، وهو بنيامين.

ف {قَالَ} لهم: ﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، ثم رغَّبهم في الإتيان به؛ فقال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ) في الضيافة والإكرام.

ثم رهَّبهم بعدم الإتيان به؛ فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ ، وذلك لعلمه باضطرارهم إلى الإتيان إليه، وأن ذلك يحملهم على الإتيان به(٤٧).

وبالفعل أقنع الإخوة يعقوب -عليه السلام- أن يصطحبوا بنيامين معهم، بعد أن أخذ العهدَ والميثاق منهم على أن يأتوا به -ما لم يحصل لهم أمرٌ لا يقدرون على دفعه-. ثم لما أرسله معهم وأوصاهم، إذا هم قدموا مصر، أن ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾؛ خوفاً عليهم من العين لكثرتهم وبهاء منظرهم.

لما دخل إخوة يوسفَ على يوسف ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ، أي: شقيقه وهو "بنيامين"؛ الذي أمرهم بالإتيان به، واختصه من بين إخوته، وأخبره بحقيقة الحال، ولما قضى لهم حاجتهم ووفّاهم كيلهم، جعل الإناءَ الذي يكيلُ به الطعام في رَحْل أخيه بنيامين، ثم نادى منادٍ: (أيتها العير إنكم لسارقون).

لما اتهمهم أولئك الفتيان بالسرقة، قال لهم إخوة يوسف: ﴿قَالُوا تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾، أي: لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا؛ لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة، أنَّا ما جئنا للفساد في الأرض، وما كُنا سارقين، أي: ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة؛ فقال لهم الفتيان: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ ، أي: السارق، إن كان فيكم ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ ، أيْ: أيُّ شيء يكون عقوبته إن وجدنا فيكم مَن أخذه؟ ﴿قَالُوا جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ، وهكذا كانت شريعة إبراهيم -عليه السلام-: أن السارق يدفع إلى المسروق منه. وهذا هو الذي أراد يوسف، -عليه السلام-؛ ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، أي فتَّشها قبله، توريةً، ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ﴾؛ فأخذه منهم، بحكم اعترافهم والتزامهم وإلزاماً لهم بما يعتقدونه؛ ولهذا قال -

(٤٧) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٤٠١).

تعالى-: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا﴾، وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة(٤٨).

قال الطبري في معنى الآية: "هكذا صنعنا ليوسف حتى يخلص أخاه (لأبيه وأمه) من إخوته لأبيه، بإقرارٍ منهم أن له أن يأخذَه منهم، ويحتبسَه في يديه، ويحولَ بينه وبينهم، وذلك أنهم قالوا -إذ قيل لهم ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾: "جزاء من سرق الصُّواع أن من وُجد ذلك في رحله فهو مُسترَقٌّ به، وذلك كان حكمهم في دينهم، فكاد الله ليوسف كما وصف لنا حتى أخذ أخاه منهم؛ فصار عنده بحكمهم وصنع الله له. ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم؛ لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسترقَّ أحدٌ بالسرقة، فلم يكن ليوسفَ أخذ أخيه في حكم ملك أرضه إلا أن يشاء الله بكيده الذي كاده له"(٤٩)

قال الواحدي: "كان حكم الملك في السارق: أن يُضرب ويُغرَّم ضعفي ما سرق، فلم يكن يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك، لولا ما كاد الله له تلطُّفًا، حتى وجد السبيل إلى ذلك، وهو ما أجرى على ألسنة إخوته أن جزاء السارق (الاسترقاق)؛ فأقروا به، وكان ذلك مراده، وهو معنى قولِه: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ فكان ذلك بمشيئة الله"(٥٠).

فمن لطف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام-: أن جعل من بنيامين طريقاً إلى أن يأتيَ بجميع أهلِه من البادية، ويستقروا في مصر، ويجمعَ الله -تعالى- أسرة يعقوب -عليه السلام- بعد الفُرقة والحزن والابتلاءات التي كان يُقاسيها بعد غيابِ يوسف -عليه السلام-.

---

(٤٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/٤٠١).

(٤٩) جامع البيان (١٣/٢٦٢).

(٥٠) البسيط (١٢/١٩١).

المبحث الثامن: مناسبة ختم قصة يوسف -عليه السلام- بقوله -تعالى-: (إن ربي لطيفٌ لما يشاء).

قال -تعالى-: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[يوسف ١٠٠].

بعد أن أخبر الله -تعالى- فيما سلف أن يوسف-عليه السلام- قال لإخوته: ائتوني بأهلكم أجمعين، أخبر هنا أنهم رحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر، فلما علم يوسف بقرب مجيئهم خرج للقائهم، وأمر الملك أمراءه وأكابرَ دولته بالخروج معه للقاء نبي الله يعقوب -عليه السلام-.

ثم أصعد يوسف -عليه السلام- أبويه إلى السرير الذي كان يجلس عليه؛ تكريماً لهم، ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)، والسجود ليس سجود عبادة، وإنما تعظيمٌ وتشريفٌ، ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾.

"وفي الآيات ما يدل على لطفِه وحسنِ خطابه -عليه السلام-؛ حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوِه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إليَّ. فلم يقُل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: "أحسن بكم" بل قال ﴿أَحْسَنَ بِي) جعل الإحسان عائداً إليه؛ فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده!، ويهب لهم من لدُنه رحمةً إنه هو الوهَّاب. وقال: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾؛ فلم يقل "نزغ الشيطان إخوتي"؛ بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطانَ ودحَره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة"(٥١).

(٥١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٤٠٥).

كما ذكر –عليه السلام– نعمةَ الله –تعالى– عليه، في خروجه من السجن؛ لأن اللطف في خروجه من السجن أعظم من خروجه من الجب لوجهين:

أحدهما: أن في ذكر إخراجه من الجب تجديدَ فعل إخوته وخِزيهم بذلك، وتقريع نفوسهم، وتحريك تلك الغوائل وتخبيث النفوس.

والوجه الآخر: أنه خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك؛ فالنعمة هنا أوضح. وعلى الجملة، فالنعم الكاملة إنما حصلت بعد خروجه من السجن(٥٢).

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾، أي إن ربى عالمٌ بدقائق الأمور رفيقٌ بعباده؛ فيُنفِذُ ما يشاء في خلقه بحكمته البالغة، فمن ذا الذي كان يدور بخلَده أن الإلقاء في الجب يعقبُه الرق، ويتلو الرق فتنةُ العشق، ومن أجله يُزجّ في غيابات السجن، ومن كل ذلك إلى السيادة والملك.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، أي إنه هو العليم بمصالح عباده، فلا تخفى عليه مبادئ الأمور وغايتها، الحكيم الذي يفعل الأمور على وجه الحكمة والمصلحة؛ فيجازي الذين أحسنوا بالحسنى، ويجعل العاقبة للمتقين(٥٣).

إن ظاهر ما امتحن الله به يوسف –عليه السلام–، من مفارقة أبيه، وإلقائه في السجن، وبيعه رقيقاً ثم مراودة التي هو في بيتها عن نفسه وكذبها عليه، وسجنه محناً ومصائب، ولكنَّ باطنَها نِعمٌ ولطفٌ منه –سبحانه وتعالى–، حيث جعلها الله سبباً لسعادته وتمكينه، فهو اللطيف الذي يوصل برّه وإحسانَه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها(٥٤).

---

(٥٢) المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٨٢/٣). وينظر: روح المعاني، الألوسي (٥٧/٧). تفسير المراغي (٤٤/١٣).

(٥٣) ينظر: تفسير المراغي (٤٤/١٣).

(٥٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٤٠٥).

ولما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك، وأقرَّ عينه بأبويه وإخوته، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه؛ قال مُقرّاً بنعمة الله، شاكراً لها، داعياً بالثبات على الإسلام: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

قال الرازي: " واعلم أن المقصد من هذا إخبارٌ عن الغيب فيكون معجزاً"، ففي القصة تسليةٌ للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وتثبيتٌ له، وإثباتٌ للإعجاز الغيبيّ للقرآن الكريم.

الخاتمة:

من أهم نتائج البحث المستنبطة من الآيات:

١- اشتمال (سورة يوسف) -عليه السلام- على جملةٍ من ألطاف الله -تعالى- بيوسف -عليه السلام-، وارتباط هذه الموضوعات بمقصدٍ مهم من مقاصد (سورة يوسف)، وهو: الوعد بالتمكين بعد الابتلاء.

٢- لطف الله -تعالى- بيوسفَ وأبيه يعقوب -عليهما السلام-، في رؤيا يوسف؛ إذ إنهما علِما من هذه الرؤيا أن يوسف -عليه السلام- سيكون له شأنٌ عظيم.

٣- من لطف الله -تعالى- بيوسفَ -عليه السلام-، أنه لما بيع على أنه رقيق، اشتراه عزيزُ مصرَ وعاش في عزٍّ وفي سعة من العيش.

٤- لطف الله -تعالى- في تخليص يوسف -عليه السلام- من فتنة امرأة العزيز.

٥- من لطف الله -تعالى- بيوسفَ -عليه السلام-، تعليمُه الرؤى، وجعلُها سبباً لخروجه من بلاءِ السجن.

٦- من لطف الله -تعالى- بيوسفَ -عليه السلام-، أنه لما وجد صواعَ الملك في رحْل أخيه؛ حكَّم إخوته بدينهم -وليس بدين الملك-.

٧- اقتران اللطف بالابتلاء، من رحمة الله -تعالى- بعبادة.

٨- لما كانت قصة يوسف -عليه السلام-، مليئة بالابتلاءات والألطاف؛ ناسب ختمها بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾.

المراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م.

٢- البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ)، محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

٣- التحرير والتنوير – تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤م.

٤- تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٦- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ – ٧٧٤ هـ)، سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٨- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض السعودية، الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٩- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

١٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ] ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الأولى – ١٤٢٢ هـ

١٤- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٥- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الأولى – ١٤١٢هـ.

١٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.